الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم الأنثروبولوجيا والاجتماع

مدرس المادة: م. د. عذراء صليوا رفو

المادة: علم الاجتماع الحضري

المرحلة: الثانية/ الكورس الثاني

المحاضرة: الرابعة

أهم الوظائف في المدن

أولاً) الوظيفـة الحربيـة للمـدن

من الاعتقاد عند الأركيولوجيين أن الوظيفة الحربية هي أقدم وظيفة عرفتها المدن، فأول مدينة في التاريخ كانت مدينة عسكرية، ويرجع السبب في ذلك إلى اكتشاف المعادن، هذا الاكتشاف ساهم بقوة في صناعة الأسلحة كان من ورائها الدفاع عن أمن المدينة وعلى سلامة أرضه، فالإنسان بطبيعته متعلق بأرضه، وهذا ما ردده **روبير آردي** بقوله أن الإنسان في جوهره حيوان حيزي متعلق بأرضه.

لا ننسى أن هذا الاكتشاف ساهم أيضاً في التوسع على حساب الشعوب الأخرى من أجل استغلال ثرواتها، ويبدوا لنا أن كل من الحضارات القديمة مثل اليونان ومصر وروما والصين، أن مدنها كانت تقوم على بناء الأسوار المرتفعة كي تصد هجمات الغزاة، هذا ويمكن القول أن وظيفة المدن الحربية تنقسم إلى نوعين، وهي برية وبحرية:

أ. المدن البرية:

وهي مدن تعتمد عند نشوئها على اختيار موقع استراتيجي يتمثل في القرب من ينابيع المياه الصالحة للشرب، فالماء كما هو معلوم هو أساس الحياة، وأينما يوجد الماء يوجد استيطان للسكان، ومن قربها أيضا من الأراضي الصالحة للزراعة، إذ أغلب سكان المدن القديمة كانوا لهم نشاط زراعي، وقد تطور النشاط الاقتصادي عند السكان حتى شمل بعض الأنشطة الصناعية مثل الحدادة وصناعة الفخار والتجارة وغيرها من الأنشطة التي كانت تعتبر بدائية في وقت سابق كما يطلق عليها علماء الأنثروبولوجيا.

ب. المدن البحرية:

وقد قامت هذه المدن بالقرب من البحار، حيث تم تأسيس مدن عبارة عن قلاع محصنة في أعلى قمم الجبال والتي بالطبع تطل على البحر، كان الغاية منها حراسة الحدود من الأعداء والغزاة القادمين من البحر، وتوفير الإمكانيات والمناورات للهجوم والدفاع في الآن ذاته، من أجل فرض الأمن بالمنطقة. وهناك مدن أخرى تأسست بتأسيس الموانئ مثال ذلك ميناء الليوطي بمدينة القنيطرة المغربية في أوائل القرن العشرين، وقد لعبت دورا محوريا في الحرب العالمية الثانية.

هذا ومع التطور التاريخي للمدن، أصبحت الوظيفة الحربية محدودة في المدن المعاصرة بعد أن كانت هذه المدن تنتشر في وقت سابق، والسبب في ذلك يرجع إلى أن فنون الحرب ووسائل النقل والمواصلات تطورت لدرجة أصبح معها من غير

الضروري وجود حاميات والقلاع الحصينة على التخوم والحدود، ولهذا فما نراه اليوم هي شوارع فسيحة كبرى مفتوحة للجميع بعد إزالة أسوار المدينة إلا أنها أصبحت تتوفر على قواعد عسكرية أكثر تطورا مثل مدينة ستالينغراد بالاتحاد السوفياتي سابقاً وروسيا حالياً.

ثانياً) الوظيفـة السياسيــة للمـدن

إن للمدن وظائف سياسية لا تظهر بشكل طبيعي، وإنما توجد نتيجة قرار أو مرسوم مفروض، فهي عبارة عن حتمية ضرورية تاريخية رافقت نشأة المدن، فبوجودها ملازم لوظائف أخرى مثل التجارة والصناعة، والحربية.

وتلعب هذه المدن وظيفة قيادية في تدبير المجال السياسي، وغالبا تكون هذه المدن هي العواصم التي تعد رمزا من رموز الدولة، وقد تجاوزت هذه المدن من حيث وظيفتها إلى ما هو عالمي، حيث أصبحت تؤثر في القرار السياسي العالمي، نظرا لتوفرها على القوة الاقتصادية والبشرية والتكنولوجية، وأيضا القوة العسكرية.

وكلمة مدينة City هي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Civitas، وترادفها باليونانية كلمة Polis، وفي اللاتينية والإغريقية كانت هاتان الكلمتان تجسمان فكرة دولة المدينة City-State، والتي لا يكون المجموع فيها كبيراً جداً مساحة أو سكاناً حتى لا تحول دون الحكم الصالح.

وقد أرتبط مفهوم السياسة بالمجتمع المديني، وبالخصوص مع الحضارة اليونانية القديمة، إذ ذهب كل من **أفلاطون في كتابه (جمهورية أفلاطون)، وأرسطو في كتابه (السياسيات)** بأنه: لا يوجد مجتمع يخلو من السياسة، بمعنى آخر أن السياسة من صنع المجتمع، فهي سياسة أناس يعيشون ويجتمعون في وسط حضري تجسدها مجموعة من القوانين يحكمون بها وتحكمهم، وهذا ما أكده أرسطو بمقولته المعروفة (بأن الإنسان حيوان سياسي بطبعه).

وعند الحديث عن الوظائف السياسية للمدن فإن تركيزنا سيكون عن العاصمة كونها تمثل المدينة السياسية، فهي مركز السلطة السياسية والسلطات الإدارية للدولة. إذ يمكن لهذه العاصمة أن تتغير بقرار سياسي من طرف الإدارة السياسية المتمثلة في رمز الدولة، وأيضاً فإن العاصمة يمكن أن تُخلَق من لا شيء، وتعد العاصمة قوة جذب للعديد من المهاجرين القادمين من الريف إليها، مما يعطيها مكانة مرموقة وأهمية كبيرة مضاعفة من حيث الكثافة السكانية وقوة ثرائها. وطبيعياً فالعاصمة يجب أن تكون كما قال **جيفرسون** Jefferson من المدن المهيمنة primate cities التي يتركز بها أكبر عدد من السكان وتكون ذات عمق تاريخي ورمز للمشاعر القومية، ومن المتعارف عليه عند المختصين أن هذه الهيمنة تعود لعامل مهم وهي وسائل النقل والمواصلات (المطار، طرق السيارات، الموانئ) مما يسهم بطريقة مباشرة في الزيادة من القيمة التجارية ودورها السياسي.

فالوظيفة السياسية للمدينة هي وظيفة تقريرية بالأساس في مسار السياسة الدولية سواء كانت سياسة خارجية أو داخلية، وتحاول العاصمة أن تلعب دوراً بارزاً في قيادة المدن ومد أطراف يدها على كل أطراف الدولة من أجل بسط سيطرتها، ويبقى اختيارها كعاصمة مرتبط بالموقع الاستراتيجي، وغالباً ما تكون هي المركز في الدولة مثل مدريد بإسبانيا، وإذا ما أخضعت

العاصمة تسقط أطراف البلاد كما وجد عبد الرحمن بن خلدون في القرن الرابع عشر ميلادي، وهذا ما نتأمله في عالمنا المعاصر مثل احتلال العراق من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وسقوط عاصمتها بغداد سنة 2003. إن نمو العاصمة وتضخم حجمها مع وظيفتها السياسية تشكل لنا مدينة من الصعب التغلب عليها وإضعافها، فهي تمثل رمز الصمود، خصوصا إن كانت العاصمة تتوفر فيها المجال العسكري والاقتصادي والاجتماعي.

ثالثاً) الوظيـفة الاقتصـاديـة للمـدن

الوظائف الأساسية التي تعتمدها المدن، بالدرجة الأساس هي نوعين رئيسين وكالآتي:

أولاً) الوظيفة الصناعية

من المعلوم أن هذه الوظيفة ظهرت وتعددت بالأساس في العصر الحديث نتيجة الثورة الصناعية الآلية الحديثة التي أدت إلى تجمع عدد هائل من السكان، ففي العصر الحديث عرفت الصناعات الحضرية نموا كبيرا، أدى بذلك إلى نمو الوظيفة الصناعية والعمل على استغلالها، ويمكن هنا أن نميز بين نوعين من الصناعة تعرفها كل المدن وهي:

أ. الصناعة التعدينية: وقد أنشئت حيث وجدت المعادن دون النظر إلى بقية الظروف البيئية الأخرى، وتعتبر هذه الصناعة من أقوى الصناعات، فهي تساهم في خلق المدن، فهذه الصناعة يمكن القول بأنها تدين بوجودها للتركيب الجيولوجي، وبالتالي فإن مدن المعادن هي أكثر جذباً للناس بسبب المكاسب التي تقدمها للناس على نحو سريع (الذهب).

ب. الصناعة التحويلية: توجد هذه الصناعة في كل مدينة وذلك بغرض تلبية حاجيات سكانها المرتفع، فهذه الصناعة هي مدنية بالضرورة، وتخلق بدورها العديد من المدن الجديدة.

ثانياً) الوظيفية التجارية

يمكن اعتبار هذه الوظيفة هي المحرك الأساسي للمدينة فلا يمكن أن نتصور مدينة بغير نشاط تجاري، فالتجارة هي وظيفة قاعدية لا يمكن تجاهلها، فاكتشاف التجارة أدى بدوره إلى اكتشاف المدينة، ومن ثم ظهرت طبقة من التجار المحليين والدوليين وأصحاب الحرف الصناعية.

والمدينة المعاصرة الآن أصبحت تقوم بوظائف متنوعة في المجال التجاري، فهي تقوم بهمزة وصل بين الأقاليم المجاورة، بحيث تساهم في تصدير المنتجات المصنعة وغير المصنعة، وهذا لعامل مهم هو توفرها على وسائل النقل وعلى بنية تحتية متقدمة، كما أنها تستورد من الأقاليم المجاورة أكثر مما تصدره، ثم لا ننسى أنها تتوفر على مراكز كبرى تساعدها على استقطاب رؤوس الأموال من أجل استثمارها.

إن هذا الدور التي تقوم به المدينة التجارية يساهم فيها بشكل كبير عامل مهم، هو عامل يرتبط بالموقع الاستراتيجي، فكل المدن تبحث لنفسها على موقع يكون الأسهل والأقرب على استيراد وتصدير البضائع وغيرها، حتى أننا أصبحنا نسمع عن

مدن عائمة تتوفر على موانئ ومطارات، هذا ونجد بعض المدن التجارية تحاول أن تتوسع على حساب البحر مثل ما يوجد في دولة هولندا.

رابعاً) الوظيفــة المعرفيــة للمـدن

أصبحت مدن المعرفة بشكل أو بآخر مع بداية الألفية الثالثة تفرض أساليب جديدة في مستوى أنماط العيش، مثل تطوير مباني تعتمد على التقنية الذكية لكي تتعايش مع مختلف الظواهر البيئية كالزلازل وانفجار البراكين والأعاصير...إلخ، واعتمادها على الطاقة البديلة مثل الطاقة الشمسية، إلى جانب أنها تقوم بتدبير وإدارة المؤسسات والشركات بنوعيها العمومي والخصوصي بشكل رقمي.

ويقصد بالمدن المعرفية أو مدن المعرفة، تلك المدن التي تعتمد على المعرفة، وتتميز بتوفرها على مؤسسات للتعليم والمكتبات، ومؤسسات البحث العلمي، وشبكة لتبادل المعلومات والاتصال، وشبكة كثيفة لطرق المواصلات بمختلف أنواعها لتيسير الحركة. وهي مدن تعمل على تشجيع المشاريع التي تهدف إلى استثمار التقنية العالية (الذكية) لتسهيل مجموعة من الخدمات لأفراد المجتمع خاصة ما يتعلق بالتبادل التجاري. كما أنها مدن تستفيد من العلوم الاجتماعية ومن العلوم التكنولوجية بهدف تطورها وانسجامها مع تطلعات المجتمع.

يمكن إيجاز الفوائد الأساسية لمدن المعرفة في النقاط الآتية:

1. دعم الحراك الابتكاري القوي عبر جميع القطاعات والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.
2. تقديم خدمات تعليمية أفضل.
3. دعم المشاركة الفاعلة للمواطنين في تنمية مدينتهم والحفاظ على هويتها وشخصيتها الفريدة.
4. التحول إلى نمط اقتصادي أكثر استدامة.
5. خلق بيئة رحبة تسع الأقليات والمهاجرين.
6. تفعيل ممارسة الديمقراطية.